

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة الرابعة والعشرون

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كليمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين المسيحيين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر بولس أن عهد الناموس كان عهداً شرطياً ومؤقتاً. وكشف أنه في الوقت المعين أرسل الله المسيح. ثم تحدث عن الفرق الكبير بين عهدي الناموس والنعمة. وتحدث أيضاً عن عثرة الصليب بالنسبة لليهود.

وكنا قد أجبنا في اللقاءات الأربعة السابقة عن التساؤلات حول حقيقة صلب المسيح، فتحدثنا عن ستة براهين تؤكد حصول حادثة الصلب. ثم أشرنا إلى بعض الإدعاءات وأجبنا عليها. فأوضحنا أن الله لو أراد إنقاذ المسيح لكان أنقذه بطريقة علنية يُظهر فيها قوته. وبرهنا من حادثة ظهور المسيح بعد قيامته للتلاميذ عامة، وللتلميذ توما خاصة الذي شك بقيامته، أن الله لم يرفع المسيح حياً قبل موته. وكشفنا جواباً عن التساؤل كيف يسمح الله بصلب المسيح، أن فكرة الفداء والكفارة، كانت في أساس تعامل الله مع الإنسان منذ فجر الخليقة. وأن الله سمح بصلب المسيح لأنه قد أرسله لهدف التكفير عن ذنوبنا نحن الخطاة.

نستأنف الآن دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، فبعد أن تحدث الرسول بولس في الأصحاح الخامس عن عثرة الصليب بالنسبة لليهود، إذ أن الصليب دليل ضعف حسب ظنهم. كتب قائلاً: "فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الاخوة. غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً. لأن كل الناموس في كلمة واحدة يُكمل. تحب قريبك كنفسك." (غلاطية: ٥: ١٣ و ١٤) كان الرسول بولس قد بدأ في الأصحاح الخامس من الرسالة إلى غلاطية بدعوة المؤمنين لكي يثبتوا في الحرية التي منحهم إياها المخلص المسيح، ولا يقيدوا أنفسهم من جديد بنير عبودية الناموس أو الشرعية. وكشف لهم أنه عندما يختن المؤمن أو يتطهر فكأن خلاص المسيح لا يعود ينفعه. بينما الذي يعتمد بالكلية على الإيمان، يكون عنده الرجاء الأكيد بالخلاص، والإيمان بالمسيح يحرره ويجعله يسلك في طريق المحبة.

ولهذا عاد الرسول بولس في هذه الفقرة للحديث عن مفهوم الحرية في المسيحية. فهل تعني الحرية من عبودية الناموس أو الشريعة، أن يفعل المؤمن بالمسيح ما يشاء؟ والجواب بالطبع كلا. إن الحرية بالمفهوم المسيحي تعني بالأساس، التحرر من عبودية الخطية، والسير بحسب الطبيعة الجديدة، وإرشاد روح الله الذي يسكن في الإنسان المؤمن، وليس بمقتضى نواميس وشرائع تُفرض عليه من الخارج. ولهذا طلب الرسول بولس من المؤمنين بالمسيح، أن لا يستغلوا هذه الحرية التي أعطاهم إياها المخلص المسيح، لإشباع شهوات الجسد. فلا وجود لحرية حقيقية مع وجود الخطية، لأن الخطية تستعبد الإنسان. لكنه دعاهم في نفس الوقت لكي يسلكوا بالمحبة تجاه بعضهم البعض. لأن المحبة هي هدف ناموس الله وشريعته، لا بل إن الناموس كله يتم في وصية واحدة، وهي أن يحب الإنسان قريبه كنفسه. فمن الحقائق الثابتة أن الإنسان يحب نفسه. وعندما يُطلب منه أن يحب الآخرين كنفسه، فهذا يعني أن يحبهم المحبة التامة. هذه المحبة التي تطلب كل ما هو صالح ومفيد للآخرين، وتبتعد عن كل ما يؤذيهم.

وبتعبير آخر أراد الرسول القول للمؤمنين في رسالته إلى المؤمنين في غلاطية، أنكم إذا كنتم تريدون خطأً التقيد بناموس أو شريعة العهد القديم، فبالأولى لكم أن تسلكوا بالمحبة تجاه الآخرين والتي هي أساس الناموس. ثم أضاف قائلاً: " فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضهم بعضاً فانظروا لئلا تفنوا بعضهم بعضاً. " (غلاطية ٥: ١٥) وهو هنا يحذرهم من أخطار عدم المحبة، التي قد تؤدي إلى الكراهية، وإلى محاربة بعضهم البعض.

لكن كيف بإمكان المؤمن بالمسيح أن يعيش حياة الحرية الحقة ويقهر في نفس الوقت الخطية؟ أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال الهام عندما كتب قائلاً: " وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. " (غلاطية ٥: ١٦ و ١٧) إن السلوك بحسب روح الله القدوس الساكن في الإنسان المؤمن بالمسيح، هو الذي يحفظ المؤمن من السقوط في أهواء الجسد أي الخطية، ويجعله في نفس الوقت يعيش حياة الحرية الحقة في المسيح.

هل تعلم مستمعي أن الإنسان عندما يؤمن بالمخلص المسيح، تصبح عنده طبيعتان؟ الطبيعة القديمة وهي التي نسميها الطبيعة الجسدية، والطبيعة الروحية الجديدة التي تأتي عن طريق حلول روح الله القدوس. ولهذا يتحدث هنا الرسول بولس عن الصراع الذي يحصل في داخل المؤمن بين هاتين الطبيعتين. فالجسد أي الطبيعة القديمة تشتهي الشر، بعكس الروح أي الطبيعة الروحية الجديدة التي تسعى نحو الصلاح. ولهذا على المؤمن بالمسيح أن يحارب أهواء الجسد الشريرة بواسطة الروح القدس، لكي يقهرها. أي يجعل الروح القدس هو الذي يقود حياته، وليس هذه الأهواء الشريرة، وإلا سقط أمامها.

ولهذا أضاف الرسول بولس قائلًا: "ولكن إذا انقدم بالروح فستتم تحت الناموس." (غلاطية ٥: ١٨) إذن من المهم جدا على المؤمن بالمسيح لكي يغلب الخطية، أن يجعل الروح القدس يقود حياته دائما وفي كل الأمور. وعندما يترك المؤمن الروح القدس يقود حياته، يتحرر من عبودية الناموس أو الشريعة. لأن روح الله يصبح هو الدليل والمرشد، وهو الذي يحفظه ويعطيه القوة لكي ينتصر على الخطية.

مستعي الكريم، ألا ترغب أن يحل روح الله القدوس في داخلك؟ وأن تحصل على هذه الطبيعة الروحية الجديدة؟ وأن تتحرر من عبودية الخطية، وتختبر بالتالي الحرية الحقة من كل قيد؟ أولا تشعر أنك مقيد بقيود الخطية وعاجز عن الانتصار على عاداتك الفاسدة؟ وكم من مرة حاولت التحرر من عادة شريرة ما مستحكمة فيك ولم تستطع؟

إن الحل لمشكلتك التي قد تبدو مستعصية، يكمن في لجوئك إلى المخلص المسيح الذي وحده القادر أن يحررك من عبودية الخطية، ويحل فيك روح الله القدوس، ويقودك في طريق الحرية الحقة. تعال إذن بالتوبة الصادقة إلى الله، مؤمنا بموت المسيح الكفاري من أجلك على الصليب ، وبقيامته الظاهرة من بين الأموات. عندها سيغفر الله خطاياك، ويجعلك خليفة جديدة، ويحل في قلبك روحه القدوس.